الأستاذة: تلكماس المنصوري.	
عنوان الوحدة	نصوص درامية
عنوان المحور	نشأة المسرح
عنوان الجزء	مفاهيم متصلة بالمسرح: التراجيديا – الكوميديا – المونودراما

مفاهيم متصلة بالمسرح:

التراجيديا – الكوميديا – المونودراما

كنا قد تحدثنا في الدرس السابق عن وجود الممثل الأول مع ثيسبيس بعد أن انفرد عن الجوقة واستقل بنفسه، وأصبح يمثل ويجسد الشخصيات الأخرى ويدخل مع الجوقة في حوار

وبعده جاء باراتيناس الذي طور الأقنعة بعد أن كانت الجوقة تستخدم الطلاء (ما يقابل الماكياج)، فكانت تستخدم بقايا النبيذ وتدهن به الوجوه، وهكذا طور من الملابس، لتصبح أكثر أهمية، وبعده جاء أسخيلوس الذي يعتبر المبتكر الحقيقي للتراجيديا، فإليه يعزى الممثل الثاني، مما أدى إلى وجود صراع درامي بين الممثل الأول والممثل الثاني، هذا الصراع يتطور إلى وجود وجهات نظر مختلفة .

وقد عدل أسخيلوس في الأقنعة وهذبها وحسن من وظيفتها وأصبحت تعبر تعبيرا صادقا عن ملامح الممثل وعواطفه، كما اعتنى بملابس الممثلين أيضا، وجاء بعده سوفوكليس الذي اهتم بالديكور والمناظر والخلفيات، وهكذا تطورت التراجيديا لتصير مكتملة التكوين وخرجت من جو الطقوس والتعبد والديثرامب إلى الدراما التراجيدية .

وتجدر الإشارة إلى أن الممثلين كانوا كلهم من الرجال ولم تكن النساء يمثلن في التراجيدات اليونانية مثلما أن الجميع كان يضع الأقنعة (من ممثلين وجوقة) لمساعدتهم على تضخيم أصواتهم والتعبير عن عواطفهم وبيان الشخصيات التي يؤدونها.

تنطبق **الدراما** على التراجيديا وتنطبق على الكوميديا، لأن أصل كلمة دراما هي من الفعل "يعمل حدثا" أو يؤديه فبالتالي أي عمل تم تمثيله سواء على خشبة المسرح أو في السينما أو غيره نستطيع أن نطلق عليه مسمى عمل درامي فأثناء الحديث عن العمل الكوميدي يمكننا القول العمل الدرامي الكوميدي ويمكننا القول العمل الدرامي

التراجيدي. لأن التراجيديا تعني مأساة والكوميديا تعني ملهاة. ولأن الدراما عند أرسطو تعني محاكاة الأفعال: "وعلى هذا فإن سوفوكليس من جهة يحاكي مثل هوميروس أشخاصا أفاضل، ومن جهة أخرى يحاكي مثل أرسيتوفانيس، فكلاهما يحاكي أشخاصا يقومون بأداء أفعال، ولهذا يطلق البعض لفظة دراما على مثل تلك المنظومات التي تقدم أشخاصا وهم يؤدون أفعالا"[1].

الهدف من **التراجيديا** هو خلق جو ونوع من البؤس والحزن من أجل إثارة الخوف والشفقة وهما عنصران مهمان في التراجيديا. يخاف الجمهور من أن يكون مكان البطل التراجيدي الذي قد يتعرض للعقاب أو العذاب والقتل إلخ، كما يشعر بالشفقة على المصير البائس للبطل ولا يتمنى أن يكون مكانه. وكلما تحقق هذان العنصران في العمل التراجيدي بلغ ذروته من الدقة والجودة.

أما الهدف من **الكوميديا** فهو الضحك والبهجة والفرحة كما يحصل في أعياد الديثيرامبوس، فالذي حصل أن الناس كانوا يفرحون ويرقصون ويغنون وينشدون سعادة وفرحا بأعياد ديونيزوس، لكن هذه الفرحة تتضمن جانبا محزنا في ثناياه، وهو تذكرهم للحدث البائس المتصل بموت الإله ديونيزوس (الذي هلك على يد التيتان الذين قاموا بتمزيقه وهو على هيئة ثور، بعد أن تحول إليه هربا منهم) وهذه كانت اللبنة الأولى لنشأة التراجيديا كفن مستقل عن الكوميديا ولا يجوز المزج بينهما عند اليونان، وهو ما سيتحدث عنه أرسطو حول فصل الأنواع الدرامية. إذ لا تختلط الكوميديا بالتراجيديا عند اليونان. ومثلما أن الكوميديا أصلها عن شعر الأيامبو(شعر الأهاجي) فإن المأساة أصلها من الملاحم.

يعرف أرسطو **التراجيديا** بقوله: "هي محاكاة فعل نبيل تام لها طول معلوم بلغة ممتعة بألوان من التزيين، وتتم هذه المحاكاة بواسطة الفعل لا بواسطة الحكاية، من أجل إثارة الشفقة والخوف، وبذلك يحدث التطهير. وأعني باللغة الممتعة اللغة التي بها إيقاع ووزن وغناء"[2].

فالطول الكافي "في قوله طول معلوم" هو الذي يسمح لسلسة من الأحداث التي تتوالى وفق مبدأ الضرورة والاحتمال، وأن تنتقل بالبطل من الشقاء إلى النعيم، أو العكس من النعيم إلى الشقاء.

[1] - أرسطو: فن الشعر، مكتبة المسرح، رقم3، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، ترجمة الدكتور إبراهيم حمادة، ص: 83.

[2] - أرسطو: فن الشعر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة بيروت، دون تاريخ، ص: 103.

ومن ثم فإن التراجيديا مسرحية مأساوية تثير الخوف والفزع والشفقة، وتهدف إلى تطهير الناس من الشرور والآثام والذنوب، وغالبا ما تبتدئ التراجيديا أو تتخللها أو تنتهي بإيقاع الخوف والرعب والموت[3].

بينما يعرف **الكوميديا**: على أنها "محاكاة لأشخاص أردياء، أي أقل منزلة من المستوى العام، ولا تعني الرداءة هنا كل نوع من السوء والرذالة، وإنما تعني نوعا خاصا فقط هو المثير للضحك، والذي يعد نوعا من أنواع القبح. ويمكن تعريف الشيء المثير للضحك لأنه الشيء الخطأ أو الناقص الذي لا يسبب للآخرين ألما أو أذى. ولنأخذ القناع الكوميدي المثير للضحك مثالا يوضح ذلك، ففيه قبح وتشويه، ولكنه لا يسبب ألما عندما نرى"[4].

ويعني هذا أن المسرحية الكوميدية هي مسرحية هزلية تثير الضحك، وتنتقد المجتمع والأشخاص بطريقة ساخرة لا تضر الآخرين، ولا تسبب لهم ألما ولا ضررا[5].

ومن أشهر الكوميديات اليونانية مسرحية "الضفادع" التي تعتبر ذروة الإبداع الكوميدي في القرن الخامس قبل الميلاد، وعموما فقد ضاع أغلبها ولم يصل إلينا إلا بعض الشذرات التي تؤكد أن هدف الكوميديا هو انتقاد الشخصيات العامة والسخرية من الآلهة بطريقة ساخرة وهزلية وترتبط بفصل الربيع تزامنا مع الخصب والنماء وعصر العنب والخمور أما التراجيديا فمتصلة بفصل الخريف حيث تجف الطبيعة ويسود جو من الكآبة والحزن.

لا تقل أهمية الكوميديا عن التراجيديا من حيث إبلاغ الرسالة، فإذا كانت إثارة الخوف والشفقة هو وسيلة التراجيديا، فإن وسيلة الكوميديا هي التعليم والإصلاح عبر الإضحاك والتسلية.

والسبب في ذلك أنها تتوفر على حبكة، وتشتغل على الشخصية من خلال عكس توافقها مع سماتها الفطرية ومع ما تقوله وتفعله، فعندما يؤدي الممثل الرجل دور المرأة فهذا مدعاة للسخرية والضحك.

وأيضا من خلال نسج حبكة ذات بداية ووسط ونهاية في حياة البطل وتكون النهاية غير متوافقة مع قانون الضرورة والاحتمال (ويعني هذا القانون أن كل الأفعال التي تحدث تكون ضرورية ومهمة جدا، وتكون محتملة الحدوث)، فالذي يحصل في

---

[3] - جميل حمداوي: المدارس المسرحية الغربية، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور/تطوان الطبعة الأولى 2020، ص:11.

[4] - أرسطو، فن الشعر، مرجع سابق، ص: 103.

[5] - بلال داوود وجميل حمداوي: محاضرات في تاريخ المسرح، سلسلة دراسات أكاديمية محكمة، تصدر عن المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، الناظور/طنجة، الطبعة الأولى 2022، ص: 19.

الكوميديا أن نهاية الأحداث قد تكون غير محتملة وغير ضرورية وهو ما يدعو إلى الضحك.

فمثلا في مسرحية "هيلين" (ليوريبيدس) نجد مشهدا يصف ما حصل عقب حرب طروادة، إذ يصل "مينيلوس" إلى مصر، ومعه شبح هيلين (التي قامت الحرب بسببها) فيجدها وياالسخرية طيلة الحرب في حماية بروتيوس ملك مصر، فيعود ليترك شبحها في كهف بحري. وفي مصر يواجهها حقيقة. وهنا يتحفنا يوريبيدس بما يمكن تسميته بمحاكاة ساخرة لمشاهد التعرف على الغائبين، والتي هي عادة ميزة من ميزات الدراما اليونانية. ومن الواضح في هذا المشهد أن يوريبيدس يتعمد استغلال الفرص المتاحة للكوميديا من أجل وصف ارتباك "مينيلوس" الذي يظهر على خشبة المسرح بثياب رثة عليها بقايا عشب البحر ليكون هو العلامة المرئية لإثارة المزيد من الفكاهة، وهكذا يؤدي عنصر الفارس المخدوع في المسرحية إلى الكوميديا الصامتة.

مينيلوس: سيدتي، أنت تشبهين هيلين إلى درجة لا تصدق. هيلين: وأنت تشبه مينيلوس فماذا أقول؟" من الواضح إذن أن يوريبيدس يروم من خلال هذه الكوميديا أن يسخر من فكرة الحروب التي لا طائل من ورائها، فهذه حرب طروادة كلها اندلعت بسبب شبح، وأراد من خلال اللقاء الهزلي بين مينيلوس وهيلين أن يضع خاتمة لمعاناة استمرت سنين طوالا.

المونودراما:

تتكون **المونودراما** وفقا للغة اليونانية من شقين مونو بمعنى "واحد" ودراما بمعنى "فعل"، اذن فمصطلح "مونودراما" معناه **"الفعل الواحد"**. وهناك من يخلط بين المونودراما ومصطلح **"المونولوغ"** الذي يتكون هو أيضا من شقين مونو: بمعنى "واحد" و"لوغ" بمعنى "حديث" أو "أداء"، فالمونولوغ إذن هو **"حديث أو أداء فردي"** لشخصية تعبر عن صراع داخلي بين العقل والعواطف. والمونولوج يعتبر جزءا من المسرحية، وأحد عناصرها وأجزائها، مثل المونولوج الأشهر **"اكون او لا أكون"** لشكسبير في مشهد الراهبات من مسرحية هاملت وهو يتأمل في خطاب الموت والانتحار.

أما **"المونودراما"** فهي مسرحية كاملة يؤديها ممثل واحد، وهي حديث مطول لفرد واحد يقوم عليه العمل ككل وهو محوره.

أيضا هناك اختلاف بسيط بين **"المونولوج"** و**"المناجاة"**: فالمناجاة عبارة عن شكوى موجهة لجهة قد تكون خيالية وقد تكون حقيقية، وقد تكون عبارة عن بوح لعواطف ومشاعر داخلية تؤرق صاحبها. فهي شكوى غير موجهة للذات أو للنفس بل يكون

القصد منها أنها موجهة إلى جهة مخاطبة قد تكون خيالية او متخيلة كمناجاة الله سبحانه مثلا (عن طريق بث الهموم والألم والأحزان) فهذا ليس بمونولوج بل هو مناجاة، ومن أمثلتها أيضا مناجاة شاب لصورة أمه المتوفية وشكواه من بؤسه وتعاسته وشقائه بعدها. بينما يقتضي المونولوغ حوارا داخليا بين العقل والقلب حول قضية أو فكرة تؤرق بال الشخصية.

أما **الديالوغ** فتعني "ديا" ثنائي، و"لوغ" يعني "حديث أو أداء ثنائي".

"التريالوغ": هو "حديث أو أداء ثلاثي".

هناك مصطلحات أخرى متقاربة قد تسمعونها مثل **"الميلودراما"**: وهو مشتق من الأصل اليوناني "ميلوس" وتعني أغنية، ودراما وتعني الحدث أو الأداء وهو عمل يكون أساسه المشاعر والعواطف.

والحبكة مصممة لجذب المشاعر بشكل مفرط، وقد يشارك فيه أكثر من ممثل واحد، وتعتبر مسرحية "بيجماليون" من أبرز أمثلة ونماذج الميلودراما.